التربية الأخلاقية عند ابن رشد

طالب الدراسات العليا: وفاء محمود المحاميد

إشراف الأستاذ الدكتور: إبراهيم المصري – قسم أصول التربية

كلية التربية– جامعة دمشق.

الملخص

هدف البحث إلى تعرُّف مفهوم تطور فلسفة الأخلاق في فكر الفلاسفة، ومفهوم الأخلاق بين الديمقراطية والاستبداد في فكر "ابن رشد"، وفلسفة الأخلاق ومصادرها الفضائل وأنواعها وكيفية تحصيلها في فكر "ابن رشد"، ومعيار الفضيلة في فكر "ابن رشد"، ومفهوم الفعل الفاضل وأنواع الفضائل وكيفية تحصيلها في فكر "ابن رشد"، ومفهوم السعادة في فكر "ابن رشد". تم استخدام المنهج التحليلي الفلسفي، حيث توصل البحث إلى النتائج الآتية: إنّ التربية الأخلاقية هي الأساس الأول في بناء الإنسان، ومن ثم فهي أساس في تقدم المجتمعات البشريّة وازدهارها؛ لأنَّ التربية الأخلاقية هي المدخل لاجتياز أزمات الأمم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وليس هناك تقدم للإنسان بدون (إنسان)، لذلك فإن مهمة التربية في الوقت الراهن هي التركيز على العنصر الجوهري في بناء الإنسان وهو الأخلاق. وينطلق ابن رشد من منطلق واحد للدعوة إلى تحصيل الأخلاق على مستوى الفرد والمجتمع؛ وهو تأكيدهم على كونها ضرورة مجتمعية تخلق التوازن بين مكوناته وكذلك بين مكونات النفس البشرية، وأن التحلي بالأخلاق الفاضلة هو سبيل رفعة الأمة العربية والإسلامية وعزتها وقوتها وسعادتها في الدنيا والآخرة. وأن غيابها يفسح المجال أمام الرذيلة والأمراض والفساد والإفساد.

الكلمات المفتاحية: التربية الأخلاقية، ابن رشد.

Moral education according to Ibn Rushd

Abstract

The aim of the research is to identify the concept of the development of moral philosophy in the thought of philosophers, the concept of morality between democracy and tyranny in the thought of Ibn Rushd, the philosophy of morals and its sources, virtues and their types, and how to attain them in the thought of Ibn Rushd, the standard of virtue in the thought of Ibn Rushd, and the concept of virtuous action. The types of virtues and how to achieve them in Ibn Rushd's thought, and the concept of happiness in Ibn Rushd's thought. The philosophical analytical method was used, and the research reached the following results: Moral education is the first foundation in building a human being, and therefore it is a foundation in the progress and prosperity of human societies. Because moral education is the gateway to overcoming the economic, political and social crises of nations, and there is no progress for man without (man), so the task of education at the present time is to focus on the essential element in building man, which is morality. Ibn Rushd starts from one premise to call for the attainment of morals at the individual and societal levels. It is their emphasis on the fact that it is a societal necessity that creates a balance between its components as well as between the components of the human soul, and that having virtuous morals is the path to the elevation, dignity, strength and happiness of the Arab and Islamic nation in this world and the hereafter. Its absence opens the way for vice, disease, corruption and corruption.

Keywords: Moral education, Ibn Rushd.

. مقدمة:

إن الأخلاق أساس سعادة البشر وسلامتهم، ومتى فقدت حل الشقاء والتصارع والانهيار والدمار والفساد، ومن هنا جاءت الرسائل الأخلاقية والقيم عبر الأديان لتعزيز الأخلاق وتنميتها وترقيتها ورعايتها وحمايتها مستعملة كافة المداخل والوسائل الإيمانية والتعليمية، والتربوية والتشريعية، الدنيوية والأخروية؛ فالدين في جوهره ومجمل وظائفه وشرائعه، إنما هو أخلاق وتخليق.

وإذا كانت الأخلاق عبارة عن الخصال النفسية المعبَّر عنها بواسطة السلوك العملي المستمر، فلا بد في الأخلاق من تحقُّق هذين الجانبين: الجانب النفسي والجانب العملي؛ الجانب النفسي: يتضمن الرسوخ الباطني للخلق والاقتناع بقيمته وفائدته، الجانب العملي: هو الترجمة والثمرة الفعلية للإيمان بالخلق ومحبته والرغبة فيه.

والمجتمعات العربية والإسلامية تعاني من اختلافات في أصول التربية الأخلاقية، فكثير منها يعود في تربية مجتمعه إلى الأصول التراثية لاعتقادها أنها الطريقة الوحيدة أو الفضلى في تربية أبنائهم علمية، ومنها من يتبنى الفكر الغربي معتمداً على أحدث ما تم التوصل إليه في تلك المجتمعات من علوم ومعارف محاولين تقليدها وأخذ ما فيها غثاً كان أم سميناً، ومنها من يحاول التوليف بين الأصالة والمعاصرة، فيجمع بين الماضي فيأخذ منه كل ما يوافقه ويحاول دمجه مع الفكر المعرفي المعاصر، ليخلص بالتالي إلى فكرٍ خليط من مبادئ استلهمت من الماضي وجمعت ما في الحاضر، الأمر الذي أدى إلى ما تعاني منه المجتمعات العربية من تخبط وتخلف في أصول التربية الأخلاقية. ولهذا اختلفت أساليب ومناهج علماء الإسلام في تحصيل الأخلاق على مستوى الفرد أو المجتمع، مع وعيهم العميق بقيمة الأخلاق ودورها في إصلاح المجتمع. ومن بين أبرز هؤلاء العلماء الذين تحدثوا في الفكر الأخلاقي ومناهجه هو الفيلسوف "ابن رشد".

إنَّ اشتغالنا بأصول الفكر الأخلاقي عند ابن رشد والأبعاد التربوية لفلسفته، وتعرُّف أصول فكره الأخلاقي هو رغبة من الباحثة في تقديم أفكاراً للتطبيقات الأخلاقية التربوية قد يُستفاد منها من فلسفة ابن رشد التربوية، وليس برغبة تكرار ما كتب عنه.

ثانياً: مشكلة البحث:

سعى ابن رشد إلى وضع منهج أخلاقي تربوي يداوي به العديد من آفات عصره، والأسقام التي أصابت أمته في مقتل، وأضرت بالعلاقة بين الفرد والمجتمع، وكان تأسيسه لهذا المنهج تأسيساً فلسفياً إسلامياً دون ريب؛ مؤكداً "أنّ المعرفة الإنسانية والعلم البشري أصلهما من الواقع، والعلم اليقيني وهو معرفة الشّيء على ما هو عليه. والعلم المخلوق فينا إنما هو أبدا شيء تابع لطبيعة الموجود" (ابن رشد، د. ت، 34). ويؤكد ابن رشد رحمه الله أن الفضيلة هي التي تجعل الفرد والمجتمع فاضلاً في علاقة مترابطة بينهما، يقول: "وبالجملة فنسبة هذه الفضائل في أجزاء المدينة هي كنسبة القوى النفسانية في أجزاء النفس، فتكون هذه المدينة حكيمة في جزئها النظري الذي به تسود جميع أجزائها، على النحو الذي يكون به الإنسان حكيماً بجزئه الناطق الذي يسود به على قواه النفسانية الأخرى" (ابن رشد، الضروري في السياسة، 1998، 72).

كما اعتبر أن الأخلاق والفضيلة ضرب من الصحة والجمال وأن غيابها على مستوى النفس والمجتمع نوع من المرض. يقول: "ولذلك فالفضيلة ضرب الصحة والجمال، والرذيلة ضرب من المرض؛ وكما أن الصحة واحدة بالنوع، فكذلك الفضيلة... أما الرذائل فهي متعددة ومختلفة، كما أن الأمراض هي أيضاً متعددة ومختلفة...." (ابن رشد، الضروري في السياسة، 1998، 123)، وكلامه في هذا الباب أكثر من أن يحصى أو يستقصى.

يبدأ ابن رشد وصف الدواء للمشكلة الأخلاقية بذكر وسائل تطبيق الشريعة الإسلامية، والتي تؤهله للقيام بهذا الدور الخطير في بناء العلاقة الصحيحة بين الفرد والمجتمع؛ إذ يجب "أن يكون مطَّلِعا على علوم الشريعة الإسلامية والسنن، ومكتسبا حنكة الدهر، هذه الحنكة هي التي تدل على التّمرس بقواعد الصّناعة الفلسفية التّربوية، وتخرج عمله النّظري إلى التّطبيق والتّجربة" (ابن رشد، 1993، 78)، فيستطيع بذلك تحقيق الوظيفة التربوية التي من شأنها "حفظ الناشئة في بدنها حفظًا طبيًّا أخلاقياً، وفي عقلها ولسانها حفظًا تربويًّا أخلاقيّاً" (ابن رشد، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، د. ت، 192)؛ أما المجتمع الذي تثمر فيه يد الإصلاح تلك؛ فلابد أن يكون مجتمعاً أخلاقياً منفتحاً لا نبذ فيه ولا انعزال؛ تتفاعل أطرافه تفاعلاً إيجابياً من خلال علاقات تبادلية تقوم

على التكافؤ والعدالة والرحمة.. كما حذّر ابن رشد من ترك علوم السابقين من علماء الأمم الأخرى؛ اتباعاً لفتاوى ما أنزل الله بها من سلطان؛ فيقول "يجب علينا، إن ألفينا لمن تقدم من الأمم السّالفة نظراً في الموجودات واعتباراً لها، بحسب ما اقتضته شرائط البرهان، أن ننظر في الذي قالوه من ذلك وما أثبتوه في كتبهم، فما كان منها موافقا للحق قبلناه، وسررنا به، وشكرناهم عليه، وما كان منها غير موافق للحق؛ نبهنا عليه، وحذرنا منه، وعذرناهم" (ابن رشد، 1993، 82)، هذا لأن الانغلاق المعرفي والانكفاء على الذات والإعجاب بما لدينا من "نظام قيمي" إنما هو ضعف وسبيل إلى الفساد الاجتماعي والفساد الأخلاقي؛ لأن الحياة لا تصلح إلا بالاحتكاك بالمخالف؛ فالاختلاف يكشف عن جوانب إيجابية لا يفصح عن جوهرها غيره.

ولا يختلف اثنان على أن التشريع الإسلامي جاء فيما جاء له لتحقيق سعادة البشر وذلك بجعل الأخلاق هي المرجع والمصدر والميزان في حياة المسلم، يقول ابن رشد:" إن السنن المشروعة العلمية المقصود منها هو الفضائل النفسانية" (ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، 1994، 509/2)، ومعنى هذا أن القارئ لكتاب "بداية المجتهد ونهاية المقتصد" سوف يجد أن ما أجممه ابن رشد في نهاية كتابه هذا، حاضر في كل باب، خاصة ونحن نعلم أنه قد حدد لكل باب ما يناسبه من الفضائل: ففضيلة العدل تناسب الأموال والجنايات، وفضيلة العفة تناسب المناكح والمطعم والمشرب، وفضيلة السخاء والبعد عن رذيلة البخل تناسب الزكاة والصدقات (ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، 1994، 508/2).

بل سوف نجد أن للقاعدة الخلقية تأثيراً في تأويل بعض النصوص (إدريس، 2007، 143). كما كان للمقصد الخلقي أثر واضح في الترجيح الفقهي عند فقيهنا وهو يعرض آراء الفقهاء واختلافاتهم ويناقشها ويوازن بينها. ومن أمثلة ذلك:

جاء في "بداية المجتهد" في وجوب إزالة النجاسة: "إن من فرق بين العبادة المعقولة المعنى، وبين غير المعقولة –أعني أنه جعل غير المعقولة آكد في باب الوجوب– فرق بين الأمر الوارد في الطهارة من الحدث، وبين الأمر الوارد في الطهارة من النجس، لأن الطهارة من النجس معلوم أن القصد بها النظافة، وذلك من محاسن

الأخلاق، وأما الطهارة من الحدث فغير معقولة المعنى" (ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، 1994، 1/88-89).

مناقشة ابن رشد اختلاف الفقهاء في مسألة "متى تكون المرأة أم ولد" وقوله بعد ذلك رحمه الله: "وأما متى تكون أم ولد؟ فإنهم اتفقوا على أنها تكون أم ولد إذا ملكها قبل حملها منه، واختلفوا إذا ملكها وهي حامل منه أو بعد أن ولدت منه: فقال مالك: لا تكون أم ولد إذا ولدت قبل أن يملكها ثم ملكها وولدها. وقال أبو حنيفة: تكون أم ولد. واختلف قول مالك إذا ملكها وهي حامل، والقياس أن تكون أم ولد في جميع الأحوال، إذ ليس من مكارم الأخلاق أن يبيع المرأة أم ولده، وقد قال الرسول محمد صلى الله عليه وسلَّم: "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" (ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، 1994، 2/696).

أيضاً في اختلاف الفقهاء في مسألة "في كون النية شرط في صحة الوضوء أم لا؟" ذكر أن سبب اختلافهم: "تردد الوضوء بين أن يكون عبادة محضة، أعني: غير معقولة المعنى، وإنما يُقصد بها القربة فقط كالصلاة و غيرها، وبين أن يكون عبادة معقولة المعنى كغسل النجاسة؛ فإنهم لا يختلفون أن العبادة المحضة مفتقرة إلى النية، والعبادة المفهومة المعنى غير مفتقرة إلى النية، والوضوء فيه شبه من العبادتين ولذلك وقع الاختلاف فيه، وذلك أنو يجمع بين عبادة ونظافة، والفقه أن ينظر بأيهما أقوى فيلحق به" (ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، 1994، 1/24). يتضح مما سبق أن ابن رشد جعل الأحكام الفقيية العممية خادمة للأخلاق من أجل تحصيلها وترسيخها في نفس أفراد المجتمع.

وسعت دراسة محمود (2015)، بعنوان: "العدالة في فكر ابن رشد وتطبيقاتها التربوية"، إلى تعرف العدالة في الفكر التربويَ لأبن رشد، انطلاقاً من إشكالية قلة أو ندرة الدراسات التي تتناول الفكر التربويّ للمدارس الإسلامية والأندلسية عامة، وفكر ابن رشد خاصة، على الرغم من كثرة هذه المدارس وخصوبة آرائها في مجالات العلوم المختلفة. إن موضوع العدالة وتطبيقاتها في الفكر التربويّ والمؤسسات التعليمية، موضوع يستحق الاهتمام، لأنَّ العدالة من أسمى القيم التي نصت عليها كل الديانات السماوية، والقوانين الوضعية في مختلف الحضارات الإنسانية المتعاقبة. وموضوع الدراسة، يتبع منهجاً

أساسياً بوصف العدل من أبرز المبادئ الدستورية التي أقرّها الشرع الإسلامَي في أبواب فقه نبيه المصطفى (صلى الله عليه وسلم). وأظهرت الدراسة أنَّ العدالة في الفكر التربويّ لابن رشد مستقاة من القرآن الكريم، والتراث الإنسانيّ والإسلاميّ. ومن حيث النظرة الى العدالة لدى المعلم وضع ابن رشد كفايات أساسية للمعلم، منها ضرورة مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين والمساواة بينهم وفق مستواهم الاجتماعي والثقافي والاقتصادي. إنَّ مفهوم العدالة في الاسلام شامل لكلّ ميادين الحياة كقيمة عليا، وكأساس للتعامل في المجتمع الإسلاميّ في مختلف أوجه التعامل والعلاقات، وباعتباره قوام الدولة، ونظام الحكم فيها، وأساس ولاية القضاء، وولاية المال العام، وغيرها من الولايات. ومن أهم الاستنتاجات: إنَّ فلسفة ابن رشد الأخلاقية كانت شاملة لكافة مجالات الحياة الأساسية، التربوية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية؛ ولم يترك مجالاً إلّا وتطرق إليه من خلال فلسفته الأخلاقية. إنَّ مفهوم العدالة ليس بمعزول عن التربية بل إنَّ كل واحد منها يفسر الآخر. فهي بمفهومها القيميّ والتربويّ تعزز روح المواطنة لدى الطلبة وتعمل على تقوية روح الانتماء والدفاع عن الوطن.

وأشارت دراسة هاشم (2017)، بعنوان: "الفضيلة وفلسفة الأخلاق عند ابن رشد" إلى وجوب اتباع الشريعة لأنها حوت أمهات الفضائل، ووضعت الدستور الأخلاقي القويم، وعن طريقها يُمكن معرفة الخير والشر؛ ويرى ابن رشد أنه من الصعب تحقق الفضائل والكمالات في شخص واحد، لكن تواجدها يتحقق من خلال التعاون بين الآخرين. ويرى أن يعمل الإنسان على إسعاد المجموع، فلا يخص شخصه بالخير والشر.

وأشارت دراسة كمال (2021)، الأردن: بعنوان: "منهج تحصيل الأخلاق عند ابن رشد وسعيد النورسي"، إن الأخلاق أساس سعادة البشر وسلامتهم، ومتى فقدت حل الشقاء والتصارع والانهيار والدمار، ومن هنا جاءت الأديان لتعزيز الأخلاق وتنميتها وترقيتها ورعايتها وحمايتها مستعملة كافة المداخل والوسائل: الإيمانية والتعليمية، والتربوية والتشريعية، الدنيوية والأخروية؛ فالدين في جوهره ومجمل وظائفه وشرائعه، إنما هو أخلاق وتخليق. وإذا كانت الأخلاق عبارة عن الخصال النفسية المعبر عنها بواسطة السلوك العملي المستمر، فلا بد في الأخلاق من تحقق هذين الجانبين الجانب النفسي والجانب العملي؛ الجانب النفسي: يتضمن الرسوخ الباطني للخلق والاقتناع بقيمته وفائدته،

الجانب العملي: هو الترجمة والثمرة الفعلية للإيمان بالخلق ومحبته والرغبة فيه. ولهذا اختلفت أساليب ومناهج علماء الإسلام في تحصيل الأخلاق إن على مستوى الفرد أو المجتمع، مع وعيهم العميق بقيمة الأخلاق ودورها في إصلاح المجتمع، ومن بين هؤلاء: الإمام أحمد بن عبد الله ابن رشد الأندلسي (1198 م/595هـ) والإمام بديع الزمان سعيد النورسي (1960م/1379هـ). اهتم الأول بالجانب العملي التشريعي في تحصيل الأخلاق، واهتم الثاني بالجانب النفسي التربوي، تتناول هذه الورقة بالبحث تجليات هذين الأسلوبين في كتابات الإمامين مع مقارنة بينهما.

كما تناولت دراسة كمال (2021)، بعنوان: (المقاصد الأخلاقية في الفقه عند ابن رشد الحفيد)، الذي قال إنَّ الفضيلة بالنسبة لابن رشد تجعل الفرد والمجتمع فاضلا في علاقة مترابطة بينهما، كما أن الأخلاق والفضيلة ضرب من الصحة والجمال وغيابها على مستوى النفس والمجتمع نوع من المرض. وقد انتبه ابن رشد إلى وضياع البعد الأخلاقي في الفقه الإسلامي بسبب سيطرة النزعة القانونية للأحكام التي أولعت بتصحيح ظواهر الأفعال ومدى تحقيقها للصورة الشرعية دون مراعاة مقاصدها. جعل ابن رشد القيم المقصد العام للتشريع الإسلامي؛ وأراد من إبراز العلاقة بين الأخلاق والفقه وجعلها أساسا ينبني عليه التشريع ومقصدا يوجهه، أن يخرج النسق الفقهي من نطاق التقعيد المعياري للأحكام إلى إطار الكليات الغائية المرتبطة بهوية الذات الإنسانية في مستوياتها المتنوعة خاصة المستوى القيمي. تحاول الورقة البحثية النظر في التقصيد الرشدي للفقه، وتجليات الكلية الخلقية في موسوعته الفقهية، وتوظيفه للأخلاق كمعنى مراد في الأحكام، وإعماله للقاعدة الخلقية في تأويل النصوص والترجيح بناء على ذلك. وتنتهج الدراسة المنهج الوصفي والتحليلي التركيبي، بالرجوع المباشر إلى كتب ابن رشد الحفيد وكذا الكتابات ذات الصلة بالموضوع.

لقد أعلى ابن رشد من شأن المفاهيم الأخلاقية حين أبعدها عن أهواء الأشخاص وعن ظروفهم، أي بتخليصها من الطابع النسبي والخطابي والجدلي، فهو لا يريد أن تكون الأخلاق منقسمة وشخصية ونسبية متغيرة. وفي ضوء ذلك تكمن مشكلة البحث في الإجابة عن السؤال الآتي: **. ما أهم أفكار التربية الأخلاقية عند ابن رشد؟**

ثالثاً: أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث في النقاط الآتية:

1- الاطلاع على الأصول الفلسفية للفكر الأخلاقي عند ابن رشد، وما فيها من بُعد معرفي وفكري في إثراء الفلسفة العربية والغربية.

2- إن تناول الباحثين العرب للأصول الفلسفية في الفكر الأخلاقي لدى ابن رشد كان قليلاً – في حدود علم الباحثة- بالرغم من وجود كتابات وأبحاث كثيرة تناولت الأخلاق لدى ابن رشد.

3- قد يُسهم البحث في الكشف عن الأصول الأخلاقية لدى ابن رشد، ويساعد في توظيف تلك الأفكار في البرامج والمناهج والسياسات التعليمية التي تدفع باتجاه تلبية حاجات تنمية المجتمع وتحسين جودة مخرجات العملية التعليمية.

4- قد تفتح أبعاداً بحثية كثيرة لدراسات مستقبلية ذات علاقة بتنامي وتطوير الدور الذي تؤديه أفكار وآراء الفلاسفة السابقين في تطوير الأفكار الأخلاقية التربوية المطبقة في المدارس، والذي يمكن أن نلمس نتائجه من خلال قيام الطلبة بعد تخرجهم بأدوارهم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية في المجتمع من خلال المعارف التي اكتسبوها.

رابعاً: أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تعرُّف:

1- تطور فلسفة الأخلاق في فكر الفلاسفة.

2- الأخلاق بين الديمقراطية والاستبداد في فكر "ابن رشد".

3- فلسفة الأخلاق في فكر "ابن رشد".

4- مصادر الفكر الأخلاقي في فكر "ابن رشد.

5- الفضائل وأنواعها وكيفية تحصيلها في فكر "ابن رشد".

6- معيار الفضيلة في فكر "ابن رشد".

7- الفعل الفاضل في فكر "ابن رشد".

8- أنواع الفضائل في فكر "ابن رشد".

9- كيفية تحصيل الفضائل في فكر "ابن رشد".

السعادة في فكر "ابن رشد".

10-السعادة والعقل الفعال في فكر "ابن رشد".

خامساً: أسئلة البحث:

يُحاول البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1) كيف تطورت فلسفة الأخلاق في فكر الفلاسفة؟
2) ما الأخلاق بين الديمقراطية والاستبداد في فكر "ابن رشد"؟
3) ما فلسفة الأخلاق في فكر "ابن رشد"؟
4) ما مصادر الفكر الأخلاقي في فكر "ابن رشد؟
5) ما الفضائل وأنواعها وكيفية تحصيلها في فكر "ابن رشد"؟
6) ما معيار الفضيلة في فكر "ابن رشد"؟
7) ما الفعل الفاضل في فكر "ابن رشد"؟
8) ما أنواع الفضائل في فكر "ابن رشد"؟
9) كيف يتم تحصيل الفضائل في فكر "ابن رشد"؟
10) ما السعادة في فكر "ابن رشد"؟
11) ما السعادة والعقل الفعال في فكر "ابن رشد"؟

سادساً: منهج البحث:

اعتمد البحث الحالي على المنهج التحليلي الفلسفي، التي تقوم على تحديد أهم المفاهيم والأفكار لدى المفكر وربطها بالإطار الفكري والتاريخي العام في عصره، وما يمكن استنتاجه منها فيما يخص مسائل معاصرة (والمقصود هنا الأصول الفلسفية لفكره الأخلاقي من خلال ردّ أصولها إلى المدارس الفكرية الأكبر، الضروري في السياسة). وقد اعتمد البحث على الخطوات الآتية: الاطلاع على الأبحاث والدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع البحث الحالي؛ تحديد المراجع والكتب ذات الصلة بموضوع البحث الحالي، ثم

تحليل الأصول المعرفية للفكر التربوي لدى ابن رشد، واستخلاص أهم النتائج، وأخيراً تقديم بعض المقترحات المرتبطة بنتائج البحث الحالي.

سابعاً: عينة البحث:

تشمل عينة البحث التحليلية المراجع العامة في الفلسفة الأخلاقية عند ابن رشد، وهي: (تلخيص كتاب النفس، تلخيص ما بعد الطبيعة، تهافت التهافت، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، الضروري في السياسة).

ثامناً: إجراءات البحث:

لتحقيق أهداف البحث والإجابة عن أسئلته، قامت الباحثة بإجراء البحث وفق الخطوات التالية:

1. الرجوع إلى الأدبيات والدراسات السابقة العربية والعالمية المرتبطة بموضوع البحث والتي تتناول: الفلسفة الأخلاقية عند ابن رشد، وكل ما يتعلق بها من النواحي النظرية والتطبيقية، وبخاصة الدراسات التي تناولت الفلسفة الأخلاقية عند ابن رشد إن وجدت.
2. عرض جوانب الفلسفة الأخلاقية عند ابن رشد.
3. تحليل النتائج وتفسيرها.
4. تقديم عدد من المقترحات في ضوء النتائج.

تاسعاً: حدود البحث:

للوصول الى إنجاز بحث يُجيب عن الإشكالية المشار إليها سابقاً سوف تلجأ الباحثة إلى أن تحد بحثها موضوعياً بنوعين من الوثائق:

المراجع العامة في الفلسفة الاخلاقية وفلسفة التربية التي تبحث في:

- مؤلفات ابن رشد.
- فلسفة التربية الإسلامية.

المصادر الخاصة بابن رشد كفيلسوف أخلاق وتربية:

- كتاب فصل المقال.
- كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد.

- كتاب بيان الأدلة.
- كتاب المسائل في الحكمة.

عاشراً: مصطلحات البحث وتعريفاته الإجرائية:

10-1- أصـــول الفكـــر: هـــي منظومـــة الاعتقـــادات الفكريـــة، والإنســـانية، والمعرفيـــة، والاجتماعية، والميتافيزيقية، والتي تشكل في مجموعها وجهة نظره حول القضايا الوجودية الرئيسة الفيزيقية منها والميتافيزيقية، والتي يرتكز عليها، ومنها تنطلق أفكاره التربوية الأصول الفلسفية الاجتماعية والنفسية (الإنسانية) والمعرفية (عواد، 2007، 12).

10-2- **أصول الفكر التربوي**: هي منظومة الاعتقادات الفكرية، والإنسانية، والمعرفية، والاجتماعية، والميتافيزيقية، والتي تشكل في مجموعها وجهة نظره حول القضايا الوجودية الرئيسة الفيزيقية منها والميتافيزيقية، والتي يرتكز عليها، ومنها تنطلق أفكاره التربوية الأصول الفلسفية الاجتماعية والنفسية (الإنسانية) والمعرفية (عواد، 2007، 12).

10-3- فلسفة التربية (Education philosophy): يرى عبد الدائم أن فلسفة التربية "تضطلع بدور نقدي تحليلي يمكن أن نصف جانباً منه بأنه أبستمولوجي وبدور تنسيقي للتنسيق بين معطيات العلوم التربوية المختلفة وجوانب التربية الواقعية المتباينة وبدور توجيهي عن طريق تعرف الاتجاهات التي يشير إليها تحليل الواقع التربوي والاجتماعي في مسيرته نحو المستقبل والكشف عنها وتوضيحها وتأييدها" (عبد الدائم، 1991، 74).

وتعرَّف فلسفة التربية إجرائياً بأنها: هي الربط بين الفلسفة والتربية من خلال تطبيق الرؤى الفلسفية في مجالات التربية وفق منهجية تلائم الحياة المعاصرة.

10-4- الأخـلاق (Ethics): عرفت الأخلاق في موسوعة لالاند الفلسفية بأنها: "مجموعة القواعد السلوكية المعتبرة صالحة بلا شرط" (لالاند، 1996، 35).

ويعرف الفلاسفة الأخلاق بأنها: دراسة معيارية للخير والشر، تهتم بالقيم المثلى، وتصل بالإنسان إلى الارتقاء عن السلوك الغريزي بمحض إرادته الحرة، وهي تخص الإنسان وحده، ومصدرها ضميره ووعيه (أبو سريع، 1990، 12)

وتعرف الأخلاق إجرائياً بأنها: منظومة السلوك الإنساني عند التعامل مع الغير، وهي محمودة إذا كان المجتمع يقرها ويحبذها ومذمومة إذا كانت غير ذلك.

10-5- فلسفة الأخلاق (Ethics Philosophy): يعرف فلاسفة الأخلاق الإنسان الأخلاقي بأنه: الشخص الذي نريده أن يكون واعياً بنفسه وما حوله ويتمتع بقوة نفاذة لتذوق قيم الحياة بكل ما فيها من وفرة وامتلاء وخصوبة.

ومهمة الفيلسوف الأخلاقي هي الأخذ بيد ذلك الإنسان المنزلق لكي يسترد تلك الحاسَة الخلقية ليرى القيم ويدرك المعاني ويحس بالجمال (أبو سريع، 1990، 26)

وبذلك تعرف فلسفة الأخلاق إجرائياً بأنها: هي الفلسفة التي تضطلع بمهمة دراسة الجانب الاخلاقي لدى الإنسان.

10-6- التربية الأخلاقية (Ethics education): تعرَّف التربية الأخلاقية في الدراسة الحالية بأنها: مجموع الجهود والإجراءات التي يقوم بها جزء من المجتمع من أجل إحداث تغيير في سلوك الناشئة باتجاه السلوك المحمود اجتماعياً وتعويدهم على الاستقامة.

ويمكن القول إن الهدف من التربية الأخلاقية هو تكوين شخصية إنسانية خيرة بعيدة عن الشر.

الحادي عشر: الإطار النظري:

لا شك أن ابن رشد هو أحد كبار الفلاسفة في الحضارة العربية الإسلامية. وقد ترك للإنسانية مآثر علمية جليلة استفادت منها بلاد الغرب التي تنعم الآن بحضارة راقية؛ إذ كان لابن رشد وغيره من علماء العرب والمسلمين فضلاً كبيرًا في بناء قاعدة تلك الحضارة. فقد استمد الغرب الكثير من التراث العربي الإسلامي – ذلك التراث الذي مازال طلاب العلم الغربيون ينهلون منه في جامعاتهم وفي مجالات بحوثهم ودراساتهم. وقد بحث ابن رشد كثيرًا في الفلسفة، ولكنه لم يهمل الحقول المعرفية الأخرى، فعكف على القراءة والكتابة؛ إذ يُروى عنه أنه لم ينقطع عن القراءة والكتابة إلا في ليلتين: إحداهما كانت يوم وفاة والده، والثانية كانت ليلة زواجه! وقد ألَّف ابن رشد في الفيزياء والفلك والطب والفلسفة وغيرها.

وكان ابن رشد حريصاً في تناوله للعديد من المشكلات الأخلاقية التي تصدى لدراستها على الالتزام بالنصوص القرآنية والسنن ومنهجها، ودعا إلى تأويل النص الديني من أجل ترسيخه في سلوك أفراد المجتمع.

11-1- تطور فلسفة الأخلاق في فكر الفلاسفة:

ظهرت الأفكار الفلسفية الأولى عن الأخلاق في كتاب "الفيدا" الذي تضمن الأفكار الفلسفية الهندية القديمة ما قبل الفلسفة الاغريقية، التي تقوم على أن "أن الحياة مليئة بالشقاء، ومن ثم لابد من احتقار الحياة الدنيا ... لإن الخلاص من الشقاء لا يكون إلا عبر ما تسميه الفلسفة الهندية بـ"النرفانا" التي تعني الفناء في الإله، وهو شكل من أشكال التصوف والزهد.

وظلت هذه الفلسفة مسيطرة في الهند حتى ظهور البوذية في القرن السادس قبل الميلاد التي أسسها "غاوماتا بوذا" أو المستنير. ثم برزت الفلسفة الكونفوشية التي أسسها "كونفوشيوس" (551 – 479 ق. م) في الصين، واشتهرت بتعاليمها الأخلاقية السياسية؛ أما الفلسفة الإغريقية اليونانية (التي ظهرت في القرنين السادس والخامس ق.م)، فقد كانت الرائدة في تحرير الفكر عبر تساؤلاتها عن طبيعة الواقع وحقيقة الكون والعقل والعديد من القضايا ذات الطابع المعرفي والشمولي.

يعتبر الفيلسوف سقراط (399- 469) (ق. م) رائد الفلسفة الأرستقراطية النخبوية الذي وقف بعناد ضد الديمقراطية في آثينا.

كان سقراط من بين أعظم الذين أثروا في الروح الغربية، وكانوا مصدر إيحاء لها. وما ميز سقراط كإنسان تمثل في قوته الأخلاقية، وحياته العادلة والمعتدلة، وسرعة بداهته، وطلاقة لسانه وروحه المرحة اللطيفة.

ويمكننا أن نجمل المبادئ الأساسية للأخلاق السقراطية بما يلي: الفضيلة هي المعرفة، فكلاهما واحد. ومن يعرف الحق معرفة حقيقية سيمارسه أيضاً، وسيكون سعيداً.

الفيلسوف "أفلاطون" (427 347 –ق.م) قال في كتاب "الجمهورية" ما فحواه: إنّ هدف الدولة ينبغي أن يكون تحقيق حكم الفضيلة والنزاهة والاستقامة على هذه الأرض. بمعنى آخر إنّ هدف السياسة هو إقامة مجتمع عادل عن طريق سلطة نزيهة وعادلة، فلا معنى لحكم ظالم ولا مستقبل.

أما أوصاف الطاغية عند أفلاطون فهي: كائن حيواني ينشغل بالملذات المتقلبة، نقيض الروح الخالدة، هو من أتعس العالمين ومدينته مدينة شقية.

أما الفيلسوف أرسطو (284 –322 ق.م) "فهو أول من استخدم مصطلح الأخلاق أو الحكمة العملية من أجل صياغة الأفكار عن الواجب والخير والشر، وهو أيضاً أول من استخدم مصطلح الاستبداد وقارنه مع مصطلح الطغيان، وقال إنهما نوعان من الحكم يعاملان الرعايا على أنهم عبيد.

"وفي العصر العبودي الذي امتد حتى نهاية القرن الرابع الميلادي ظهرت ثلاث تيارات رئيسية هي:

- **الريبية –مذهب الشك:** ومن أشهر فلاسفتها "بيرون (365–275 ق.م)، الإنسان عندهم عليه "ألا يتخذ موقفاً من ظواهر الطبيعة أو الحياة، وإذا أراد أن يعيش سعيداً عليه أن لا يفكر فيها"، إنها دعوة مبكرة إلى أن يظل الإنسان أبلهاً أو مكرهاً على الاستسلام للظلم.
- **الفلسفة الابيقورية:** نسبة إلى الفيلسوف "ابيقور" (341–270ق.م)، كان داعية للاستسلام والخنوع والتأمل وهي صفات صبغت المرحلة اللاحقة حتى القرن الرابع عشر.
- **الرواقيون:** أشهر فلاسفتهم زينون الفينيقي (334 ق.م – 262 ق.م)، دعوا أيضاً الى الاستسلام والسكون وقالوا بأن الانسان الحكيم هو الذي يؤثر مصلحة الدولة على مصلحته الخاصة او الذاتية (العراقي، 2000، 64–65).

وفي المرحلة الاقطاعية منذ القرن الخامس الميلادي حتى القرن السابع عشر، سادت أخلاق الارستقراطية الاقطاعية ذات الطابع المسيحي، التي استطاعت تكييف الدين المسيحي لحساب مصالحها الطبقية، حيث سادت الأفكار والفلسفات الرجعية في ذلك العصر (الافلاطونية المحدثة والسكولائية) ونجحت في تثبيت ما سمي بـ" أخلاق السادة النبلاء" مقابل أخلاق الطبقات الشعبية الفقيرة التي فرضت عليها ظروف الاستبداد والقهر، أن تمتثل لكل أشكال التفكير الغيبي والاعراف والتقاليد والامثال الشعبية المنبثقة عنه، وهي أفكار أكدت على أن الخضوع للسادة هو نوع من الايمان وبالتالي فإن التمرد عليه نوع من الكفر (وهي أفكار تشبه وتتقاطع إلى حد بعيد مع الاخلاق والأمثال الشعبية التي سادت في التاريخ الاسلامي وما تزال حتى اللحظة الراهنة).

نيقولا ميكافيللي (1527 – 1469) حاول في مؤلفاته البرهنة على أن البواعث المحركة لنشاط البشر هي الأنانية والمصلحة المادية، وهو صاحب مقولة:" أن الناس ينسون موت آبائهم أسرع من نسيانهم فقد ممتلكاتهم"، إن السمة الفردية والمصلحة عنده هما أساس الطبيعة الإنسانية؛ ومن جانب آخر فقد رأى أن القوة هي أساس الحق في سياق حديثه عن ضرورة قيام الدولة الزمنية المضادة (البديلة) لدولة الكنيسة؛ ويؤكد على أن ازدهار الدولة القوية المتحررة من الأخلاق، هو القانون الأسمى للسياسة وأن جميع السبل المؤدية لهذا الهدف طبيعية ومشروعة بما فيها السبل اللاأخلاقية (كالرشوة والاغتيال ودس السم والخيانة والغدر)؛ والحاكم عنده يجب أن يتمتع بخصال الأسد والثعلب.

هذه هي النزعة الميكافيلية التي تبرر كل شيء للوصول إلى الهدف السياسي، وهي توضح معنى الفردية والإقرار بالاهتمامات الشخصية.

وفي القرن السادس عشر ظهر "فرنسيسس بيكون" (1561_ 1626)، الذي أعلن "بأن المبدأ الذي ينظم الحياة الفردية والحياة الاجتماعية إنما يتجلى في الطبيعة البشرية بنزعاتها وميولها".

فالطبيعة البشرية هي المنطلق الأصيل في بناء الأخلاق" ولكن ذلك مرهون بتطهير العقل وغسله من التصورات والأوهام السابقة (أوهام القبيلة، أوهام الكهف، وأوهام السوق) لكي يتصدر العلم والعلماء قمة البناء.

لقد كان بيكون أعظم عقل في العصور الحديثة" قام بقرع الجرس الذي جمع العقل والذكاء وأعلن أن أوروبا قد أقبلت على عصر جديد.

ثم ظهرت الفلسفة الحديثة مع رينيه ديكارت (1596– 1650م) مؤسس المذهب العقلاني الذي يرتكز عنده على مبدأ الشك المنهجي أو الشك العقلي "الشك الذي يرمي إلى تحرير العقل من المسبقات وسائر السلطات المرجعية" ومن سلطة السلف، الشك الذي يؤدي إلى الحقيقة عن طريق البداهة العقلية كالحدس_ التحليل_ التركيب.

لقد أقام "ديكارت" وفق أسس الشك المنهجي والبداهة العقلية؛ يقينه الأول من مبدأه البسيط الذي عرفناه من خلاله "أنا أفكر.. أنا موجود"، هذا المبدأ الأول هو بداية كل فكر عقلاني وهو ما سنجده مضمراً وصريحاً في الفلسفة العقلانية من ديكارت إلى ماركس.

باروخ سبينوزا" (1632– 1677م) أن سبينوزا وضع فلسفة سياسية عبرت عن آمال الاحرار والديمقراطيين في هولندا في ذلك الوقت، وأصبحت احدى المنابع الأساسية لجدول الأفكار التي بلغت أوجها في روسو والثورة الفرنسية.

يقول سبينوزا "ليست الغاية الأخيرة من الدولة التسلط على الناس أو كبحهم بالخوف، ولكن الغاية منها ان تحرر كل انسان من الخوف كي يعيش ويعمل في جو تام من الطمأنينة والأمن".

إنَّ هدف الدولة هو الحرية، لأن عمل الدولة هو ترقية النمو والتطور، والنمو يتوقف على المقدرة وتوفر الحرية.

وكلما زادت الحكومة في مكافحة حرية الكلام وخنقها، كلما زاد الشعب عنادا في مقاومتها، ولن يتصدى لمقاومة هذه القوانين أصحاب الشره والطمع من رجال المال، بل أولئك الذين تدفعهم ثقافتهم واخلاقهم وفضائلهم إلى اعتناق الحرية.

جون لوك (1632– 1704م) عصر التنوير والمساواة، رفض وجود أية أفكار نظرية مسبقة في الذهن.. فالتجربة بالنسبة له هي المصدر الوحيد لكافة الأفكار!..

ومن آرائه الاجتماعية والسياسية قوله: "بأن مهمة الدولة هي صيانة الحرية والملكية الفردية، وعلى الدولة أن تسن القوانين لحماية المواطن ومعاقبة الخارجين عن القانون" وقال أيضاً "إن الحالة الطبيعية للبشر تتأكد عند سيطرة الحرية والمساواة كمفاهيم أساسية تحكم المجتمع"؛ كما طالب بالفصل التام بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، وقد دعمت آراؤه التوجهات الليبرالية في بريطانيا آنذاك (زقزوق، 2003، 72).

مونتسكيو: (1755 – 1689) في كتابه روح القوانين رفض الاستبداد، ودافع عن الحرية، وأكد على ضرورة فصل السلطات، رافضاً للحكم المطلق ونظام الاستبداد.

ومونتسكيو يعد الاستبداد نظاماً طبيعياً بالنسبة للشرق لكنه غريب وخطر على الغرب، وهي نفس الفكرة الأرسطية التي يقسم فيها العالم إلى شرق وغرب، للشرق أنظمة سياسية خاصة لا تصلح إلا له وهي بطبيعتها استبدادية يعامل فيها الحاكم رعاياه كالحيوانات أو كالعبيد، وللغرب أنظمة سياسية خاصة تجعل تطبيق الاستبداد يهدد شريعة النظام الملكي (الطويل، 1979، 142).

ثم جاء جان جاك روسو (1712 –1778) دعا إلى المساواة بين البشر وأن يظل الناس أحرارا كما ولدوا. كما اعتبر روسو "أن الاستبداد في الأصل ليس نظاماً سياسياً، إنه عملية اغتصاب للسلطة، يترتب عنها أن المغتصب يضع نفسه فوق القانون".

"ومعلوم عن روسو انه نهض في عزّ عصر التنوير لكي يطلق صرخته المدوية: لا لعلم بدون أخلاق، لا لحضارة بدون ضمير! والتنوير إذا لم يكن مبنياً على قيم العدالة والمساواة واحترام الحقيقة فإنه بلا أسس حقيقية" (شرف الدين، 1988، 29).

كانط (1804– 1724): يعرف كانط الأخلاق، عامةً بأنها مجال الحرية للبشرية، المتميز عن ميدان الضرورة الخارجية والسببية الطبيعية.. الأخلاق عند كانط، مجال اللازم (ما يجب أن يكون). ذهب كانط الى أن الواجب هو المفهوم المركزي في الأخلاق وهو الذي يحدد مفهوم الخير (والخير هو فعل الواجب).

يُعرّف كانط الأخلاق، عامةً بأنها مجال الحرية للبشرية (بدوي، 1984، 113–114).

وإلى جانب كانط، فقد حفلت الثقافة الألمانية بآراء فيخته وشلنغ وهيغل.

هيجل :(1831 _1770) يُنَصِّبْ هيجل "الشرف" المعتمد من قبل المجتمع والدولة القائمين، وهكذا قان أخلاق هيجل هي أخلاق التزامات تجاه الأسرة والمجتمع والدولة.

أما أوغست كونت (1857_ 1798)، فالأخلاق لديه علم يهدف أول ما يهدف إلى البحث عن قوانين الحوادث الأخلاقية.

وهو صاحب نظرية "الوضعية التي تتميز باعتماد العلم في فهم وتفسير الظواهر الطبيعية والبشرية وهي الحالة "المعاصرة" التي دعا الى الأخذ بها.

استبعد كونت أساليب كل من التفكير الميتافيزيقي واللاهوتي، استبدل بهما مناهج التفكير العلمي فاتجه إلى "وضع قوانين تفسير الظواهر اللا أخلاقية توطئة للسيطرة عليها والإفادة منها في دنيانا الحاضرة."

والخصائص الرئيسية للأخلاق الوضعية، أنها تقوم على أساس العلم الوضعي وتحقق صفاته، ولهذا فهي حقيقية، وتنظر إلى الإنسان كما هو كائن بالفعل (شرف الدين، 1988، 39).

نيتشه :(1900 – 1844) أفكار نيتشة، تدعو الى تدمير الأخلاق القديمة وتمهيد الطريق لأخلاق "الإنسان الأعلى"، انطلاقاً من قناعته بأن هناك تقديران متناقضان للسلوك الإنساني، هما أخلاق السادة، وأخلاق الطبقات العامة (زقزوق، 2003، 82).

فالخضوع عنده يولد الذل والضعة، والعجز ينتج طلب المساعدة من الغير، حيث تسود أخلاق الضعف والسلام والأمن وتصبح أحد أهم السمات الأخلاقية للشعوب المستعبدة والمغلوبة على أمرها، فالحياة التي تقوم على مبادئ التسامح الضعيف هي حياة تسير في طريق الانحلال، فالأخلاق الحقة هي إرادة القوة.

كان نيتشة يحتقر أخلاق العبيد أو الضعفاء لأنها أخلاق صادرة عن الضعف والعجز بينما أخلاق الأقوياء أو " السادة " كما يقول: تقوم على البطولة والمقدرة.

أما العبيد فانهم يلجؤون الى تسمية الأشياء بعكس أسمائها الحقيقية. وهكذا فالشعور بالعجز يسميه العبد "طيبويه"، وعدم القدرة على رد الفعل يسميه "صبراً " كما يسمي الخضوع " طاعة " و الوضاعة " تواضعاً " والعجز عن الانتقام " عفواً " وهكذا.

فرويد: (1939 – 1856) بعد نيتشه، ظهرت الفرويدية (أو مذهب التحليل النفسي).

فرويد قال بأن دوافع الانسان واخلاقياته هي انعكاس لميوله اللاشعورية.

هربرت سبنسر (1903 – 1820): مصدر الأفكار والآراء حول الأخلاق التي نادى بها تشكلت على أساس بيولوجي أو التفسير التطوري، بفضل نظرية دراوين، حيث يربط "سبنسر" فكرة الضمير الأخلاقي بالفكرة العامة أو فكرة الأخلاق المكتسبة، وهي فكرة "بقاء الأصلح".

وليم جيمس (1910 – 1842) تأثر وليم جيمس بالمفكر الأمريكي تشارلز بيرس مؤسس فلسفة البرجماتزم صاحب مقولة "لكي نجد معنى للفكرة ينبغي أن نفحص النتائج العملية الناجمة عن هذه الفكرة".

ورأى أن لا قيمة للأمور في نظره إلا إذا أرشدتنا الى تحسين أوضاع حياتنا، فالناس يقبلون الفلسفات أو ينبذونها وفقاً لحاجاتهم لا وفقاً للحقيقة الموضوعية، وهم لا يتساءلون: هل هذا منطقي، بل يتساءلون عن مدى ما تتناسب الفلسفة مع مصالحهم.

جون ديوي :(1952 – 1859) قال إنَّ النمو والتطور، هما أعظم الأشياء وأفضلها وأجدرها بالاحترام، لقد جعل ديوي من النمو والتطور مقياسه الأخلاقي، فالنمو في نظره

هو المقياس الأخلاقي وليس الخير المطلق. أما عالِم الاجتماع الألماني ماكس فيبر (1864 – 1920)، فقد رأى أن الحداثة المعاصرة، وانتقال العالم من العصر القديم إلى العصر الحديث، يمكن إرجاعه إلى سببين رئيسيين، هما: «روح» الرأسمالية، و«الأخلاق» البروتستانتية (بدوي، 1984، 76–77). وذلك لأن الأخلاق التي تبشر بها البروتستانتية، على خلاف الكاثوليكية أو الأرثوذكسية، تدعو إلى العمل والإنتاج وتكوين الثروة، والنجاح في مثل هذا المسعى هو علامة رضا من الرب. جوهر الأخلاق البورجوازية يقوم على الفردية والأنانية، أنها أخلاق لا تعترف، في العلاقات بين الناس، إلا برابطة واحدة هي المصلحة العارية، والمنفعة الخاصة والكسب الشخصي، أنها الأخلاق التي تبرر الحروب وكراهية البشر، وان الحق دائماً إلى جانب القوة (حمادي، 2007، 136).

من كل ما تقدم، نلاحظ انتقال المسألة الأخلاقية في عصر النهضة أو في حضارة الغرب الرأسمالي عموماً، من مستوى الدين الآمر، والفكر اللاهوتي إلى مستوى الفكر الانتقادي، وأصبحت قواعد الأخلاق الرأسمالية موضوعاً من مواضيع الثقافة الإنسانية "دون القطيعة الكاملة مع جوهر الدين".

كارل ماركس: (1818– 1883م)، رفض فهم الفلسفة على إنها علم مطلق، غريب عن الحياة العملية، مؤكداً إن مهمة الفلسفة والفكر الاجتماعي ليست بناء أو إنشاء Construction المستقبل، ولا وضع نظريات تصلح لجميع العصور والدهور، بل إن مهمتها "النقد الذي لا يرحم لكل ما هو قائم، ولا يتراجع أمام الاصطدام بالسلطات القائمة" (الحريري، 2007، 89).

إن مأثرة فلسفة ماركس تكمن في كونها البرهان الفلسفي والعملي في آن واحد على حتمية التحويل الجذري للمجتمع نحو الانعتاق والتحرر والعدالة الاجتماعية بآفاقها الاشتراكية رغم كل ما يتبدى اليوم من عوامل القهر والتخلف.

النظام التوتاليتاري (الشمولي) أو الشر السياسي: يُفهم من التوليتارتية ذلك النظام السياسي الذي يجعل الأفراد خاضعين لسلطوية هيئات سياسية واجتماعية، وبمعنى آخر، فإنّه يتأسس على وجود نظام وحيد تنصهر فيه كلّ السلط؛ التشريعية والقضائية والتنفيذية، لتكوين سلطة قاهرة تمارس سيطرة شاملة على الأشخاص وأنشطتهم، وتتدخل في كل

تفاصيل حياتهم، تحولهم إلى "جثث حيّة"، ويصيرون غرباء عن ذواتهم ويفقدون الإيمان بأنفسهم (إسماعيل، 1978، 93).

وفي ضوء ما سبق يمكن تعريف الأخلاق فلسفياً التي تعتبر أحدى فروع الفلسفة، بأنها مجموعة من القواعد والمبادئ الأخلاقية التي تتعلق بنظام سلوك الأفراد أو المجموعة، والتي تحمل وتهتم هذه الفلسفة معيار السلوك الصالح للفرد وبالتالي للمجتمع على حد سواء، ويرى الفلاسفة أنّ مصدر هذه الأخلاق من وعي الفرد وضميره، فتساعده على الارتقاء بنفسه وبإرادته عن السلوك الغريزي.

2-11- فلسفة الأخلاق في فكر "ابن رشد":

اهتم ابن رشد بالأخلاق كاهتمامه بالعقل وتكلم عن الفضيلة وأهميتها، وكيف أن اتباعها يوصل الانسان للسعادة. وفيما يلي شرح لما يختص بالأخلاق عنده:

1-2-22- مصادر الفكر الأخلاقي في فكر "ابن رشد":

في بداية الحديث عن مصادر الأخلاق عند ابن رشد أود ان أشير الى المحنة التي سبق وذكرناها حيث تعرض للحبس وحرق الكتب أدت الى فقدان بعض كتبه فضاع النص العربي لها ولم يتبق منها إلا ترجمات لاتينية أو عبرية، وينطبق هذا على مؤلفات ابن رشد في الأخلاق التي تقتصر غالباً على ثلاثة كتب. هي تلخيص الأخلاق لأرسطو وتلخيص السياسة (جوامع سياسة أفلاطون).

وتلخيص الخطابة لأرسطو وقد فُقد الأصل العربي للكتابين الأول والثاني (تلخيص الأخلاق وتلخيص السياسة)، ووجدت لها ترجمات عبرية ولاتينية قديمة.

ونتحدث عن تلك المصادر بشيء من التفصيل فيما يلي:

- تلخيص كتاب الأخلاق إلى "نيقوماخوس" أتم ابن رشد شرح وتلخيص هذا الكتاب لكن لم يعثر حتى الآن على النص العربي.

وإذا كان من الصعب الحصول على نسخة متر جمة إلى العربية من ذلك الكتاب إلا أنه يوجد ثلاثة بدائل تعطينا صورة موجزة عن هذا الكتاب، وتغنينا عن مشقة الاطلاع على النسخة العبرية أو اللاتينية وعناء ترجمتها وتتمثل هذه البدائل فيما يلي:

أولاً: بعض تعليقات ابن رشد وكلماته الواردة في هامش كتاب الأخلاق لأرسطو الذي نشره د. عبد الرحمن بدوي.

ثانياً: بعض الآراء التي اقتبسها ابن رشد من هذا الكتاب وضمنها كتاب تلخيص السياسة وقد ابتدأ كتاب تلخيص السياسة بإجمال ما ورد في كتاب الأخلاق بالإضافة إلى أنه كان غالباً ما يذكر في ثنايا الكتاب رأي أرسطو ورأيه الشخصي يقول ابن رشد: "وقبل ان نبدأ بتلخيصنا المطول لما تحتويه هذه المقالات فإنه من الملائم لنا ان نشير الى ما شرحناه في الجزء الأول والذي يمكن أن تصنعه أصلا لما نريد قوله هنا" (ابن رشد، 1998، 67).

ثالثاً: ما ورد في تلخيص كتابة الخطابة لأرسطو وقد حوى مباحث أخلاقية مهمة. ومن الكتب التي وجدت بغير العربية:

- ✓ **تلخيص السياسة لأفلاطون:** وقد فقد النص الأصلي العربي لهذا الكتاب، ولم يتبق إلا ترجمة عبرية قام بها "شموئيل" من مرسيليا، ولقد طُبع هذا الكتاب بعدما نقل الى العربية وأطلق عليه تلخيص السياسة لأفلاطون، أو جوامع السياسة لأفلاطون أو الضروري في السياسة.
- ✓ **تلخيص الخطابة لأرسطو:** وهو من الكتب المهمة في موضوع الأخلاق وقد يعزف عنه بعض الباحثين ظناً منهم أن الكتاب مقصور على صناعة الخطابة، لكنه يحتوي على الكثير من المباحث والقضايا والمسائل الأخلاقية. والكتاب يتكون من ثلاثة فصول أو ثلاث مقالات ورد في المقالة الأولى حديث عن الفضائل وطريقة اكتسابها وأخلاق المدح والذم والشكاية والاعتذار

أما المقالة الثانية وهي أكثر من ثلث الكتاب فقد تناولت جملة من الأخلاق كالغضب والصداقة والمحبة والخوف والشجاعة والحسد والغبطة وأخلاق الشباب والشيوخ والكهول (خليفة، 2005، 46).

وسوف نتناول الحديث عن مفهوم الفضائل عند ابن رشد وأنواعها وطرق تحصيلها ثم رأيه في اللذة والسعادة وتفصيل ذلك فيما يأتي:

11-2-2- الفضائل وأنواعها وكيفية تحصيلها في فكر "ابن رشد":

يتضح التصور الرشدي للفضائل من خلال ما ورد في كتابه تلخيص الخطبة لأرسطو، وتلخيص السياسة لأفلاطون فيهما تناول ابن رشد الفضائل بشيء من التفصيل

موضحاً تعريفها وطبيعتها ومعيارها وكيفية تحصيلها وأنواعها وغير ذلك من المسائل المتعلقة بالفضائل (هاشم، 2017، 20).

مفهوم الفضيلة:

يعرف ابن رشد الفضيلة "بأنهاَ ملَكَة مُقدَرة بكل فعل هو خير من جهة ذلك التقدير، أو يُظن به أنه خير" (ابن رشد، 1967، 143).

ويرى ابن رشد في تعريف الفضيلة متابعا أرسطو أنها وسط بين رذيلتين. فهو يعرف الشجاعة على سبيل المثال: بأنها شيء ما في النفس متوسط بين الجبن والتهور. فيقول: "وقد أوضحنا ما تكون عليه الشجاعة بذاتها وأنها شيء ما في النفس وسط بين التهور والجبن وهي الصفة التي يسود بها الانسان بطريقة صحيحة وبالحد والزمان الملائمين" (ابن رشد، 1998، 72). وقد تكلم أبو الوليد أثناء حديثه عن المدح والذم عن الغاية التي من أجلها يفعل الانسان الفضيلة مشيراً إلى أن الفضيلة جميلة. لأنها تُفعل لأجل ذاتها فهي خير وهي ممدوحة، ومن ثم فإن الفضيلة هي الملكة التي بها يفعل الإنسان الخير والفعل الجميل.

يقول ابن رشد: "إن الجميل هو الذي يُختار من أجل نفسه وهو ممدوح وخير ولذيذ، وإذا كان الجميل هو هذا فإن الفضيلة جميلة لا محالة لأنها خير وهي ممدوحة" (ابن رشد، 1967، 143). ومن علامات الفضيلة في الإنسان أن يستحي مما يفعله أهل الفواحش، وأن يحاول أن ينكر عليهم ذلك، وأن يحب أهل الفضائل وينصرهم ويدافع عنهم. يقول ابن رشد: "ومما يدل على أن الإنسان ذو فضيلة أن لا يفعل الأفعال التي يفتضح بها أهل الفواحش، وأن يؤدبهم بالقول والفعل" (ابن رشد، 1967، 148).

11-2-3- معيار الفضيلة في فكر "ابن رشد":

الأفعال يلحقها المدح والذم بحسب النية المصاحبة للفعل، فقد تتحول الفضيلة إلى رذيلة إذا لم تصاحبها النية الطيبة فمن فعل الخير ابتغاء الكرامة وحدها أو فعله من أجل كونه خيرا في حد ذاته ففعله فضيلة، ومن فعله ابتغاء المال ففعله رذيلة. ويخلص ابن رشد في موضوع آخر الى أن "لفضائل الأثيرة المختارة هي التي ليس يقصد بها مقتنيها الى اكتساب مال لأن ذلك يدل على شرف الفضيلة" (ابن رشد، 1967، 150).

11-2-4- الفعل الفاضل في فكر "ابن رشد":

وفي الحكم على الفعل وهل هو فضيلة تستحق المدح والثناء، أم رذيلة تستحق الذم. ينبغي النظر في الإرادة التي ينتج عنها هذا الفعل. فقد يفعل المرء الأمور القريبة من الفضائل وهي ليست بفضائل مثل: عديم الحس قد يُوهم فيه أنه عفيف إذ كان قد يوجد له فعل العفيف وكذلك المتهور قد يوهم فيه أنه شجاع والسفيه أنه كريم. بينما تراه يقع في أمور توهم أنها نقائص وهي ليست بنقيصة بل هي في حقيقتها فضائل إذاً فالميزان الذي يحكم به على كون الفعل فضيلة أم رذيلة هو الإرادة والاختيار وفي هذا يوافق ابن رشد أرسطو وينقل عنه قوله:(وإنما يكون المدح على الحقيقة بالأفعال التي تكون عن المشيئة والاختيار، فإن الفعل الذي يكون بالمشيئة والاختيار هو الفعل الفاضل) (ابن رشد، 1967، 156)، والشخص الفاضل: هو الذي يفعل الخيرات مع ما يصاحبها من مضرة أو مشقة، وهو إنما يقصد بفعله للخيرات منفعة الآخرين قبل نفع نفسه.

11-2-5- أنواع الفضائل في فكر "ابن رشد":

قسم أفلاطون الفضائل بحسب قوى النفس الثلاث: العقلية والغضبية والشهوية، ولكل قوة من هذه القوى الثلاث فضيلة تعرف بها. ففضيلة القوة العاقلة هي الحكمة، وفضيلة القوة الغضبية هي الشجاعة، وفضيلة القوة الشهوانية هي العفة. وباجتماع هذه الفضائل الثلاث توجد الفضيلة الرابعة وهي العدالة (عبد الفتاح، 1974، 53). ومن ثم ذهب أفلاطون إلى أن الفضائل الرئيسية أربعة هي: الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة. أما ابن رشد فإنه يتفق مع أفلاطون في العدد لكنه يقسمها إلى أنواع أخرى متبعاً أرسطو في تقسيم النفس العاقلة إلى قسمين نظري وعملي، ولهذا فإن الكمالات هي الأخرى سيكون بعضها مما يُنسب إلى العملي وبعضها مما ينسب النظري. ولكن بما أن القوة الشهوية والتي هي إحدى قوى النفس موجودة في الإنسان باعتبارها قوة مضادة لكل ما يرتبط بالتأمل لديه فأمرها يكون على صلة بالقوة العاقلة كذلك، لذلك فإن الكمالات للإنسان ثلاثة: فضائل نظرية وفضائل خلقية وصناعات عملية (ابن رشد، 1998، 153)، ثم يضيف ابن رشد كمال رابع يعود إلى العقل، وهو الفضائل الفكرية، فتصير بذلك الكمالات أربعة: فضائل نظرية، وصناعات عملية، وفضائل فكرية، وفضائل خلقية. وذكر

ابن رشد هذه الأنواع الأربعة في كتاب تلخيص الأخلاق وأشار اليها في تلخيص السياسة بقوله:(لقد تمت في الجزء الأول من هذا العلم الإشارة إلى أن الكمالات الإنسانية بالجملة أربع كمالات هي: الفضائل النظرية، والفضائل الفكرية، والفضائل الخلقية والأفعال الإرادية. ويُلاحظ في هذا التقسيم للفضائل اعتبار التأمل النظري أرفع منزلة من العمل بأي شكل من الأشكال، فالفضيلة الرئيسية هي: الفضيلة النظرية لأن الفضائل العملية توجد من أجلها، والصناعات العملية أدنى من الصناعات العلمية، والمعرفة العملية خادمة للمعرفة النظرية التي غايتها المعرفة، وتكون السيادة للمعقول على المحسوس يقول ابن رشد: "وان هذه الفضائل انما توجد من أجل الفضيلة النظرية التأملية وتكون بمثابة خادمة لها وهي الغاية القصوى التي من أجلها توجد" (ابن رشد، تلخيص السياسة، 1998، أفلاطون، 67). وينطلق ابن رشد من التقسيم الأوسطي للفضائل إلى بيان طبقة كل فضيلة وبيان ترتيبها، لأنها ليست على ترتيب واحد بل بعضها يخدم الآخر، فهناك فضيلة رئيسية وأخرى فضيلة خادمة. والفضائل مرتبة على درجات وكل فئة من البشر تملك فضيلة معينة لها درجة تتفاوت بحسب قيمة هذه الفضيلة في سلم الفضائل، وتنتهي كلها إلى فضيلة واحدة رئيسية، وكل فضيلة من هذه الكمالات الأربع تنقسم إلى فضائل تندرج تحتها. فالفضائل الخلقية تنقسم إلى أقسام منها: العدل ويُطلق عليه البر والشجاعة والمروءة والعفة وكبر الهمة والحلم والسخاء واللب والحكمة. كما أنها تنقسم إلى فضائل في ذات فقط، وفضائل تفعل فيُ أناس آخرين، وهذه تكون أعظم عند قوم منها عند آخرين وفي حال دون حال، "مثال على ذلك أن فضيلة الشجاعة آثر في وقت الحرب منها في وقت السلم، أما فضيلة العدل فمؤثرة في السلم والحرب جميعا. وفضيلة السخاء والمروءة عند المحاويج آثر منها عند غير المحاويج" (ابن رشد، تلخيص الخطابة، 1967، 144).

ومن يتصفح بعض الفضائل التي أوردها ابن رشد في تلخيص الخطابة وتلخيص السياسة كفضيلة العدل وفضيلة الحياد والخجل وفضيلة المحبة والصداقة وبعض الرذائل: كرذيلة الظلم ورذيلة الغضب ورذيلة والحسد يلاحظ ان ابن رشد كان مقيداً بما أورده أرسطو فلم يحاول أن يضيف إليه دور في تراثنا بل اقتصر على اتباع وشرح ما قدمه أرسطو والفكر اليوناني.

11-2-6- كيفية تحصيل الفضائل في فكر "ابن رشد":

في بداية تلخيص السياسة أشار ابن رشد الى ثلاثة أمور تتعلق بالفضائل، وتستحق الاهتمام والعناية والفهم التام لها، وتناول هذه الأمور الشروط التي ينبغي أن تتوفر لكي توجد هذه الفضائل، ثم معرفة كيف يمكن غرس هذه الفضائل في نفوس الأَحداث بحيث تنمو منها تدريجيا ثم معرفة الصفات والفضائل التي تشتد إذا اقترنت بفضيلة ما وتضعف إذا اقترنت بفضيلة أخرى؛ أي كيف تؤثر الفضائل إحداها في الأخرى.

يقول ابن رشد: "هناك ثلاثة أمور في الفضائل تستحق العناية والاهتمام والفهم التام لها:

الأمر الأول: هو أن نعي الشروط التي ينبغي توافرها لتمكين هذه الفضائل من العمل، لأن الغاية القصوى من هذا العلم ليست معرفة ماهية الفضائل فحسب بل والعمل بها كما صرح بذلك أرسطو.

الأمر الثاني: هو كيف يمكن غرس هذه الفضائل في نفوس الشباب والبالغين، ومن ثم تربيتها في نفوسهم مَرْتبة مَرْتبة إلى أن تبلغ كمالها، ثم كيف يمكن المحافظة عليها؟ وكيف يجب علينا ازالة او استئصال الشر والرذيلة من نفوس الأشرار؟

الأمر الثالث: هو كيف تؤثر هذه الفضائل الواحدة منها بالأخرى؟ وماهي المميزات التي تجعل تأثير تلك الفضائل أكثر كمالا عندما تقترن بفضائل أخرى معينة؟ وأي الفضائل تجعلها أقل كمالاً" (ابن رشد تلخيص السياسة 1998، أفلاطون، 72-73).

لقد تحدث ابن رشد كثيرا في الفضائل وأكد على ان كل هذه الفضائل من أجل تحقيق فضيلة أساسية وهي فضيلة السعادة وسنشرح فيما يلي عن السعادة ورأي ابن رشد بها وبكيفية تحصيلها.

11-2-7- السعادة في فكر "ابن رشد":

هي الفضيلة الرئيسية التي تُفعل الفضائل كلها من أجلها ولا خير بعدها يطلب. يقول ابن رشد في كتابه تلخيص السياسة لأفلاطون: (قيمة فضيلة واحدة هي التي تكون بقية الفضائل من أجلها، وهذه الفضيلة لا توجد بسبب أي شيء بل هي مطلوبة لذاتها بينما

الفضائل الأخرى مطلوبة لأجلها إذن هذا هو الكمال الأسمى للإنسان والسعادة القصوى له).

إن غاية الأخلاق هي الوصول بالنفس الى أعلى مراتب الفضيلة هذه الأخيرة التي تحكم النفس وتوجهها إلى الصلاح بغية الوصول إلى السعادة الدنيوية والأخروية، وقد بين رشد معنى السعادة وسبيل تحقيقها حيث يرى أن السعادة هي الخير الأقصى وتمام الخيرات جميعاً، وأنها تطلب لذاتها لا لشيء آخر وراءها (أرسطو طاليس، 1969، 128).

ومعنى هذا أن السعادة هي الغاية القصوى للإنسان التي ما بعدها غاية تطلب لذاتها لا لشيء آخر وراءها، وقد أولى ابن رشد اهتماما كبيرا للسعادة الدنيوية والأخروية فيقول: "قد اتفق الكل على أن للإنسان سعادتين آخروية ودنيوية" (ابن رشد، 1955، 240)؛ إضافة إلى ما سماه ابن رشد بالسعادة المشتركة أشار كذلك إلى ما أسماه بالسعادة الأخيرة أو السعادة القصوى؛ وهي السعادة الأخروية، فربط بين ما تُحقق له السعادة المشتركة وبها تزكو نفسه بين تحصيل السعادة الأخيرة، وبين من لم يتمكن من تحصيل السعادة المشتركة فتظل نفسه الخبيثة مرتبطة بما لها من شهوات. فالسعادة القصوى لا ينالها كل واحد وليست في مقدور كل واحد فالذي تتحقق له هذه السعادة تزكو نفسه، ويتضاعف ذكاؤها بتعريها من الشهوات، وإن كانت النفس خبيثة تزداد خبثاً لأنها تتأذى بالرذائل التي اكتسبتها وتشتد حسرتها في هذا المقام وفي ذلك قوله تعالى: (أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين) (سورة الزمر، الآية 96). ويرى ابن رشد ان السبيل للوصول الى السعادة هو استخدام العلم والدرس (بومالة، 1988، 126)، أي أن الاعتماد على العلم والدرس، وترقية المدارك الإنسانية سبيلاً للوصول إلى السعادة. وبالتالي فإن ابن رشد رفض طريق الصوفية، وفي هذا يقول رينان أرنست عن ابن رشد: (ابن رشد أقل فلاسفة العرب الأندلس تصوفاً، وقد أعلن بصوت عالٍ أن نقطة النمو البشري العليا ليست سوى النقطة التي تبلغ ملكات الإنسان عندها إلى أقصى قوتها، ويصل إلى الله عندما يخرق الإنسان بالتأمل حجاب الأمور ويجد نفسه مواجها للحق الأعلى، وسلك الصوفية باطل لا طائل فيه، وذلك أن غاية

الإنسان هي نصر قسم النفس الأسمى على الحس، فمتى تم هذا بلغت الجنة مهما كان الدين الذي تجهر به) (رينان، 1957، 156).

11-2-8- السعادة والعقل الفعال في فكر "ابن رشد":

السعادة في هذه الحياة بحسب ابن رشد هي الاتصال بالعقل الفعال (ابن رشد، د.ت، 146). وهذا ممكن بحسب رسالة اتصال العقل بالإنسان، فإن القوة العقلية التي في الانسان ليست العقل بالفعل بنفسها ولا بطبيعة ذاتها ولكن العقل الفعال يجعله بالفعل، ويسمح أن يكون الأشياء الأخرى معقولة له، ولقد كانت مسألة السعادة هي المسألة الثانية الكبرى التي دارت حولها المباحث العربية، لأن الفضيلة إنما هي إحدى السبل المفضية إلى بلوغ الخير الإنساني الأسمى (فخري، 1978، 705).

11-3- الأخلاق بين الديمقراطية والاستبداد في فكر "ابن رشد":

"في البلدان الديمقراطية، يتساوى جميع المواطنين أمام القانون، وبقدر ما يكون هؤلاء أحراراً تكون دولتهم حرة وقوية، وفي البلدان المتأخرة حيث التسلط والاستبداد يتساوى جميع المواطنين أيضاً، ولكن بصفتهم لا شيء. الدولة الديمقراطية قوية بشعبها، ودولة الاستبداد قوية على شعبها" (البرقاوي، 2002، 82).

"المواطنون في البلدان الديمقراطية ذوات حرة متساوية في الحقوق وفي الكرامة الإنسانية، تشارك بنشاط في الحياة العامة؛ والرعية في عالم الاستبداد موضوع، والرعايا موضوعات لإرادة المستبد، فلا ترقى منزلتها ومنزلتهم فوق منزلة الأتباع والعبيد. ومن ثم فإن دوام الاستبداد وألفة الرعايا له تجعل من أخلاقهم أخلاق أتباع وعبيد. الاستبداد والعبودية صنوان، هكذا كانت الحال في الماضي، وكذلك هي اليوم" (الجباعي، 2015، من الإنترنت).

"الاستبداد المعاصر كسلفه القديم، يقوم على احتكار الثروة والسلطة والقوة، ووضع اليد على جميع المرافق العامة، وعلى جميع مجالات الحياة، ويمتص قوة عمل المجتمع، ويختزل الوطن كله في شخص المستبد. ويلتمس لنفسه المشروعية من عقيدة دينية أو عقيدة سياسية، قومية أو اشتراكية يفرضها على المجتمع كله بالعسف والإكراه، ولكي يستتب له الأمن يصطنع المستبد قوى للأمن علنية وسرية، وهذه تصطنع جيشاً من المخبرين والوشاة يتكاثر كالخلايا المسرطنة" (الجباعي، 2015، من الإنترنت).

يُلاحظ مما تقدم، إلى أن الاستبداد يقتل في الإنسان شخصه القانوني، إذ يسلبه جميع حقوقه، ثم يقتل فيه شخصه الأخلاقي، فتنغلق دائرة الاستبداد؛ ويغدو بالإمكان إعادة إنتاجه.

وما كان بوسع الاستبداد أن يقتل الشخص الأخلاقي في الإنسان لو لم يتمكن من قتل الشخص القانوني فيه، ولو لم يزعزع قاعدة الحقوق الطبيعية والمدنية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية.

بالطبع، يفرح المستبدون (حينما تأخذهم العزة بالإثم) بتحويل شعوبهم إلى قطعان، ومن دون أن يدروا أن ضعف شعوبهم الفعلي هو قوتهم الوهمية، ومن دون أن يدروا أن ضعف الشعوب محمول بتراكمات داخليه تتفاعل وتزداد في انتظار لحظة القطع والانفجار في وجه المستبد.

ذلك "إن قتل الشخص القانوني ثم قتل الشخص الأخلاقي في الإنسان هو قتل روح الاجتماع المدني وروح المواطنة؛ ولذلك قيل من لا يدافع عن قوانين بلاده لا يحسن الدفاع عن وطنه، ومضمون القوانين التي يجدر بالمواطنين أن يدافعوا عنها هو الحقوق ومعيارها هو العدالة، والعدالة هي التجسيد الواقعي للمساواة" (الجباعي، 2015، من الإنترنت).

"لقد فهم الكثيرون كارل ماركس وكأنه ضد الأخلاق، بينما ماركس في الواقع هو نموذج المفكر الثوري الأخلاقي بامتياز.. إنه ضد الأخلاق البرجوازية المجردة والغيبية التي تحاول إيهام المجتمع بأن المشكلة مجرد سلوك أخلاقي.. وليس نتاج بنى اقتصادية وسلطة سياسية هدفها تكريس الاستغلال... إنه لم يَسقُط في مصيدة فلسفة الأخلاق الغيبية الوعظية.. وإنَّما اندمج في الفعل الثوري والفلسفي والفكري لكي يرتقي بالوعي الاجتماعي والتحريض على الفعل من أجل التغيير الحقيقي" (إبراهيم، 2016، من الإنترنت).

"الفكرة هي أن التغيير ليس مجرد حالة ذهنية أو فكرية.. بل موقف وفعل سياسي مباشر بهدف تغيير البنى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المادية السائدة.. أي البنى التي تولد كل هذا الإسفاف الأخلاقي والثقافي والسلوكي.. فبدون تغيير تلك البنى سيبقى الوعي خاضعا لعلاقات القوة المبنية على السيطرة على وسائل الانتاج... والمستندة إلى

العمل المأجور الذي في جوهره استغلال لعرق وجهد وعمر وحياة القوى المنتجة من قبل طبقات طفيلية هدفها أولا وأخيرا الربح وتركيم الثروة، بمعنى أن تغيير هذه العلاقات اللاأخلاقية في جوهرها ينطلق من تغيير الواقع ذاته... ودور الفكر والأيديولوجيا هنا هو تعزيز هذه العملية الملموسة... أما أن يتحول الفكر إلى عملية وعظ أخلاقي لا تمس الواقع والطبقات المستَغِلَّة... فإنه يصبح في هذه الحالة جزءا من منظومة القهر ذاتها... بهذا المعنى فإن القيم الأخلاقية ما لم تكن قوة فاعلة من أجل كشف الاستغلال والقهر والدفاع عن حقوق ومصالح الناس .. فإنها فقط تعزز الوهم بإمكانية تعميم العدالة وتحقيق الحرية عن طريق الوعظ الأخلاقي" (إبراهيم، 2016، من الإنترنت).

"بهذا المعنى بالضبط يتحدد الموقف الماركسي من الأخلاق... أي أن الأخلاق بذاتها كمفاهيم ليست هي قوة التغيير بل إن الالتزام بالفعل السياسي والاجتماعي لتغيير الواقع هو الذي يعطيه القيمة الأخلاقية الكبرى... التي ستنتج في سياقاتها منظومة أخلاقية بديلة منسجمة مع الواقع الجديد، هذه هي الأخلاق الثورية وليس الوعظ الأجوف الذي يواصل الثرثرة عن الأخلاق ولكن بدون جرأة ووضوح في مواجهة أسباب القهر والظلم والاستغلال كعلاقات وقوى طبقية" (إبراهيم، 2016، من الإنترنت).

الثاني عشر: نتائج البحث ومناقشتها:

إن نظرية ابن رشد المعرفية أكَّدت ضرورة العمل على الانتفاع بالمعايير الخلقية التي أكَّد عليها الفيلسوف "ابن رشد" وذلك بتوجيه الطلبة في كلية التربية والمعلمين في وزارة التربية والدورات التدريبية على تطبيقها والأخذ بها.

توجه الدراسات التربوية نحو تراث المسلمين عامة وإرث العلم "ابن رشد" خاصةً بغية تنقيته، وتجديده، وتطويره ونقله إلى الأجيال اللاحقة، وذلك في ضوء أحكام القرآن الحكيم الذي يمثل عماد حياة الوجود الإسلامي والإنساني على السواء.

إنّ التربية الأخلاقية هي الأساس الأول في بناء الإنسان، ومن ثم فهي أساس في تقدم المجتمعات البشريّة وازدهارها؛ لأنَّ التربية الأخلاقية هي المدخل لاجتياز أزمات الأمم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وليس هناك تقدم للإنسان بدون (إنسان)، لذلك فإن مهمة التربية في الوقت الراهن هي التركيز على العنصر الجوهري في بناء الإنسان وهو الأخلاق.

شكّل إصلاح الفرد والمجتمع منطلقاً أساسياً في الدعوة إلى الأخلاق عند ابن رشد والنورسي، وعياً بأن التحلي بالأخلاق الفاضلة سبيل رفعة الأمة الإسلامية، وعزتها وقوتها وسعادتها في الدنيا والآخر.

ينطلق ابن رشد من منطلق واحد للدعوة إلى تحصيل الأخلاق على مستوى الفرد والمجتمع؛ وهو تأكيدهم على كونها ضرورة مجتمعية تخلق التوازن بين مكوناته وكذلك بين مكونات النفس البشرية، وأن التحلي بالأخلاق الفاضلة هو سبيل رفعة الأمة العربية والإسلامية وعزتها وقوتها وسعادتها في الدنيا والآخرة. وأن غيابها يفسح المجال أمام الرذيلة والأمراض والفساد والإفساد.

يؤكد "ابن رشد" أن الفضيلة هي التي تجعل الفرد والمجتمع فاضلاً في علاقة مترابطة بينهما، وركز "ابن رشد" على المنهج التشريعي في تحصيل الأخلاق والدعوة إليها.

وظَّف "ابن رشد" الكليات الأخلاقية والقاعدة الخلقية في تأويل بعض النصوص، كما جعل الأحكام العملية خادمة للأخلاق.

كان للمقصد الخلقي أثر واضح في الترجيح الفقهي عند "ابن رشد" وهو يعرض آراء الفقهاء واختلافاتهم ويناقشها ويوازن بينها.

وتتفق نتيجة البحث الحالي مع دراسة محمود (2015)، التي أظهرت نتائجها أنَّ فلسفة ابن رشد الأخلاقية كانت شاملة لكافة مجالات الحياة الأساسية، التربوية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية؛ ولم يترك مجالاً إلّا وتطرق إليه من خلال فلسفته الأخلاقية. إنَّ مفهوم العدالة ليس بمعزول عن التربية بل إنَّ كل واحد منها يفسر الآخر. فهي بمفهومها القيميّ والتربويّ تعزز روح المواطنة لدى الطلبة وتعمل على تقوية روح الانتماء والدفاع عن الوطن. ودراسة هاشم (2017)، التي أشارت إلى وجوب اتباع الشريعة لأنها حوت أمهات الفضائل، ووضعت الدستور الأخلاقي القويم، وعن طريقها يُمكن معرفة الخير والشر؛ ويرى ابن رشد أنه من الصعب تحقق الفضائل والكمالات في شخص واحد، لكن تواجدها يتحقق من خلال التعاون بين الآخرين. ويرى أن يعمل الإنسان على إسعاد المجموع، فلا يخص شخصه بالخير والشر.

وأشارت دراسة كمال (2021)، إلى أنَّ الأديان جاءت لتعزيز الأخلاق وتنميتها وترقيتها ورعايتها وحمايتها مستعملة كافة المداخل والوسائل: الإيمانية والتعليمية، والتربوية والتشريعية، الدنيوية والأخروية؛ فالدين في جوهره ومجمل وظائفه وشرائعه، إنما هو أخلاق وتخليق.

ولا شك أن لفيلسوفنا آراء أخلاقية بثها خلال دروسه وبعض تآليفه ولا سيما تلك التي تتصل بالإنسان وعقليته وتكوين المجتمع ودولته، وأخيراً لم يكن اختيار ابن رشد من بين جمع كثير من علماء وفقهاء وفلاسفة الأندلس ليستأمن به في تأسيس مدارس تنشأ بمراكش على غرار المدارس النظامية الموجودة في المشرق وذلك لما يتصف به من صفات تؤهله للقيام بهذه المهمة كفيلسوف تربوي.

الثالث عشر: مقترحات البحث:

في ضوء ما سبق من نتائج يُمكن تقديم المقترحات الآتية:

- توجيه الدراسات التربوية نحو تراث المسلمين الأخلاقي بغية تنقيته، وتجديده، وتطويره ونقله إلى الأجيال اللاحقة.
- الإفادة من الفكر الأخلاقي عند رسم السياسات التعليمية للمجتمعات العربية بما لا يتنافى مع أحكام الدين الإسلامي، وذلك من خلال محاولة دمج ما يمكن الإفادة مما تم التوصل إليه، والتوليف بينه وبين أهداف المجتمعات العربية في مناهجنا التعليمية.
- التأكيد على شمولية المناهج التعليمية لمسألة الجانب الأخلاقي كما ذكر ابن رشد، حيث تشتمل كل المقومات التي تبنى عليها الأصول الأخلاقية الإسلامية من حيث الأسس والمضامين والمفاهيم والأبعاد، وأن يتم النظر إلى المناهج التعليمية كعلم متكامل بشكل كلي.
- إجراء دراسات تربوية تتناول عناصر الفكر التربوي عند ابن رشد ومقارنتها مع الفكر التربوي الحديث.

قائمة المراجع:

أ . المصادر:

- ابن رشد. (1950). *تلخيص كتاب النفس*. تحقيق أحمد فؤاد الأهوائي، القاهرة– مصر: دار النهضة المصرية.
- ابن رشد. (1958). *تلخيص ما بعد الطبيعة*. تحقيق عثمان أمين، القاهرة – مصر: دار النهضة المصرية.
- ابن رشد. (1993). *تهافت التهافت*. تقديم محمد العريبي، بيروت– لبنان: دار الفكر اللبناني.
- ابن رشد. (د. ت). *الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة*. إشراف محمد عابد الجابري، بيروت– لبنان: دار الطلائع.
- *ابن رشد. (د. ت). فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال. دراسة* وتحقيق: محمد عمارة، القاهرة – مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن رشد، أبو الوليد. (1988). *الضروري في السياسة*. بيروت – لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
- ابن رشد، أبو الوليد. (1988). *بداية المجتهد ونهاية المقتصد*. ط10، بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية.

ب . المراجع العربية:

- إبراهيم، نصار. (2016). *جدل السياسة والأخلاق والطبقات*. الانترنت – 2016/2/4.
- أبو سريع، أسامة. (1990). *الصداقة من منظور علم النفس*. الكويت: دار المعرفة.
- إسماعيل، علي سعيد. (1978). *أصول التربية الإسلامية*. القاهرة –مصر: دار الثقافة.
- بدوي، عبد الرحمن. (1984). *موسوعة الفلسفة*. ج1، مادة ابن رشد، بيروت – لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- البرقاوي، أحمد. (2002). *ابن رشد معاصراً*. سلسلة أعلام الثقافة العربية الإسلامية، دمشق – سورية: دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع.
- الجباعي، جاد الكريم. (2015). *محنة العقل محنة الأخلاق*. الإنترنت.
- الحريري، خديجة. (2007). *الفكر الاجتماعي في فلسفة ابن رشد*. القاهرة – مصر: مكتبة مدبولي.
- حمادي، إدريس. (2007). *إصلاح الفكر الديني من منظور ابن رشد*. الدار البيضاء – المغرب: المركز الثقافي العربي.
- خليفة، عبد الله. (2005). *الاتجاهات المثالية في الفلسفة العربية الإسلامية*. ط2، بيروت– لبنان: دار الطليعة.
- رينان، إرنست. (1975). *ابن رشد والرشدية*. القاهرة– مصر: دار المعارف للنشر.
- زقزوق، محمود حمدي. (2003). *مقدمة في الفلسفة الإسلامية*. القاهرة– مصر: دار الفكر العربي.
- شرف الدين، خليل. (1988). ابن رشد الشعاع الأخير. بيروت – لبنان: دار ومكتبة الهلال.

- الطويل، توفيق. (1979). *فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها*. القاهرة – مصر: دار النهضة العربية.
- عبد الدائم، عبد الله. (1991). *نحو فلسفة تربوية عربية (الفلسفة التربوية ومستقبل الوطن العربي)*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- العراقي، عاطف. (2000). *الفلسفة العربية، مدخل جديد*. القاهرة– مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر.
- عواد، عبد المنعم حسن. (2007). *أصول الفكر التربوي عند أبي حامد الغزالي، وابن رشد، وابن خلدون: دراسة تحليلية مقارنة مع الفكر التربوي الحديث*. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم التربوية، جامعة عمان العربية، عمان، الأردن.
- كمال، أمساعد. (2021). المقاصد الأخلاقية في الفقه عند ابن رشد الحفيد. *مجلة المنهل*، 16(1)، 149– 164.
- كمال، أمساعد. (2021). منهج تحصيل الأخلاق عند ابن رشد وسعيد النورسي. *مجلة المنهل*، 7(1)، 253– 264.
- لالاند، أندريه. (1996). *موسوعة لالاند الفلسفية (المجلدين الثاني والثالث)*. ترجمة خليل أحمد خليل، بيروت: منشورات عويدات.
- محمود، سندس صباح. (2015)، بعنوان: "العدالة في فكر ابن رشد وتطبيقاتها التربوية. رسالة ماجستير غير منشورة، أصول التربية، جامعة بغداد، كلية التربية، العراق. ص 146.
- هاشم، عبد العزيز سيد. (2017). الفضيلة وفلسفة الأخلاق عند ابن رشد. *مجلة كلية الآداب*، جامعة بنها، 47(3)، 1–58.